من أمّه وشرى يكو ن ولو بغبنٍ غيرَ خاسرْ
هو يشتري معنى حيا ة وبوع لبنان الزواهرْ
هو يشتري تذكار مو طنهِ المقدّس في الضمائرْ
يا همّةً نشطت م بلبنانٍ وحرّتْ كلّ فاترْ
دومي فديتُكِ همّةً لا تخشي هول المخاطرْ
ان الشجاعة منبت م الاحرار حقًّا والحرائرْ
وكذا التحالف محورٌ معنى الوفيّ عليه دائرْ
بنت الاوائل والعلى تقضي بان تبنى للفاخرْ

# الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانيّ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فلمّا حسّت اولاد الكاثوليك انني انحبستُ اتوا الى مار يوسف وقال له الواحد منهم: صباح الخير يا عيسو. فقال له البطرك: لماذا تكلمني هكذا قال لان العيس باع بكوريّتهُ باكلة عدس وانت بعتَ ابنك بشقّة لحم. فقال: حاشا وكلّا فانا ما لي خبر بالامر. ثم بعث خلف الخواجا اسحق واعاتبهُ بحالي. فلمّا سمع اني انا في الحبس اغتاظ غيظاً عظيماً وقال: سيردّون لغرامتهِ اربعة اكياس وما اترك الامير يرضى الّا بها

فبقيتُ سبعة ايام في الزنجير في شهر تموز في موضع يقال له « التون باغا » فاسودّت وجوههم واعطوا الغرامة وافلتوني وانا راح لي قرشان. وهذا اوّل دخولي للحبس. فلمّا طلعتُ طال لساني عليهم ازيد وازيد. فخاف البطرك وهرب الى حلب ورجع مار يوسف الى دياربكر والكركي راح الى اسطنبول وهلك في الطريق. امّا الشماس نعمه ابن عجم ابو الفقراء فالكاثوليك رسموهُ قسيساً وبعد ما ارتسم اختلط مع اولاد الكاثوليك وحرم ما تحرمهُ الكنيسة وراح لعند مار يوسف فاصطاهُ شلموثا (١ وهو

١) لفظة سريانية بمعنى السلام واراد بها هنا قرار الايمان وشهادة الخضوع

البطرك حاولًا ليعرّف اولاد الكاثوليك وجاء الى ماردين واخذ كنيسة مار ايليا. وبقيتُ اروح اخدم على يدهِ القداس انا وبقية الشمامسة الكاثوليك وكنت المُ لهُ في الاسبوع قرشًا ونصف لانهُ كان فقير الحال وصاحب عيلة وما يعرف من العلم شيئًا. امّا امرأته فكانت خبيثة فانحصرتْ منهُ كثيرًا وتركتهُ وراحت الى دياربكر فراح بعدها وما رضي يخالط الهراطقة بل كان يروح يقدس عند الباطريّة (١ وعند مار يوسف والمرأة تشرّر عليهِ (٢

وبعد ذلك صار طاعون في دياربكر ومات اولًا القس قرياقوس الذي رسمهُ البطرك مار يوسف في ماردين ومات من بعده مار يوسف وشمامستهُ وقسوسهُ حتى لم يبق معهم الّا مطران وحدهُ الذي تخلّف في الكرسي وتسمّى مار يوسف الثالث

امّا ماردين فان الهراطقة منذ تشرين الاوّل صاروا يحكون اصناف الحكايات في السوق ويقولون انّ الامير قد انعزل وأكّدوا الامر. فصار هذا الكلام شائعًا في المدينة كلها حتى سمعهُ الامير وسأل عن قائلي القال وضاربي الرمل فاخبروهُ عن ابن دروان والشماس عازر والقس يوسف ابن القس الاجوردي فبعث وحكم عليهم وغرّمهم ثلاثتهم غرامة ثقيلة وحبس القس يوسف. وبعد ذلك بأيام انعزل الامير. وقبل عزلهِ بعشرين يومًا جمع من اعيان ماردين عشرين واحدًا واخذهم وراح الى دياربكر حتى يشهدوا لهُ قدام قاضيها انهُ ما عمل عليهم ظلمًا. وكان الخواجا اسحق قد مات في تلك السنة

وبعد مدّة جاء الحاكم الجديد الى ماردين ومرّ بدياربكر فابصر فيها اعيان ماردين فاغتاظ منهم وجاء الى ماردين وملك اهلهم واخوتهم روضهم في الدرخ (٣ واخذ منهم غرامة مقدار ثلاثين كيسًا وامسكتُ انا معهم ايضًا في الآخر وبقيتُ خمسة وعشرين يومًا مع الخواجا نعمه الدوزلي ومع ابراهيم بن طوبال وكانوا كل يوم يهدّدونا في الدرخ ويقولون: انكم من اهل ابن طازباز. وبعدها بثلاثة اشهر امسك ايضًا ناس

١) نرجّح انهُ يريد الآباء الكبُوشيين الذين دخلوا دياربكر في اواسط القرن السابع عشر

٢) تشرّر عليهِ اي ثار عليهِ الشرّ. هنا ينتهي النقص الواقع في نسختنا الاصلية واتممناهُ من نسخة الخوري ابراهيم حلوجي

٣) لفظة فارسية بمعنى الحصن والقلعة والسجن

من ادهام (١ الهراطقة لانهم تحاوروا عليّ قائلين انهُ قد عمل في بيتهِ مَسيفة (٢ . فبيَّنت كذبهم للامير

وبعد هذا راح الامير الى اسطنبول واخذ الحكم ورجع لكنَّ الحاكم العتيق لم يشأ ان يدخلهُ وصار بينهم منازعات كثيرة لا حاجة ان نكتبها لأنها تدوِّخ راس من يسمعها . وبعد المنازعات استولى الامير على المدينة وشتت من امرائها واعيانها نحو عشرين واحداً

وفي تلك الايام وقع في يدي مكتوب من اليعاقبة في حق الامير لو اريتهُ لهُ لكان حرقهم باجمعهم فبعثوا طلبوني ليراضوني وتوسلوا من المطران اخنرخ (٣ ان يرسمني راهباً على دير الزعفران . فهذا المطران كان رجلاً كاثوليكياً شابّاً خائفاً من الله فرسمني على نيَّة البيعة المقدسة وقبل ان يرسمني أراني صورة ايمانه يحوم ما تحرمهُ البيعة المقدسة ويؤمن ما تؤمن بهِ . وهو كان طورانيّ (٤ الاصل . وفي اليوم الذي ارتسمت بهِ شتت الامير ابنَ الجلّ في قرن باب الصور (٥ . وكان هذا الشقي يقول: « اني ارضى بان يكون حبل يوضاس الاسخريوتي في رقبتي ان تركت ابن الكزبر يصير قسّاً » فاعجوبة الله انا ارتسمتُ الصباح وهو انشتق المساء بعد ان سمع خبر رسامتي

والاحد الثاني بعد رسامتي جاءت الخراجكية (٦ باجمعهم ورأوني اقدّس في دير الزعفران منفرداً عن الهراطقة . ففي وقت المساء ارادوا ان يكملوا وقيس الدير لكي ينفرد لي مكاناً للقدّاس بغير الهراطقة فقلت لهم: « انَّ الربيع على قول المثل ما يصير بزهرة واحدة فاتركوني اعمل كما اريد » . فأكلوا وشربوا ويوم الاحد المساء عادوا الى بيوتهم

ويوم الاثنين قمتُ انا وجيستُ الى ماردين وكان لي صديق يسمّى ابراهيم بن كوّة وكوّة اسم امه فقلنا لها ان تدخل عند امرأة الامير وتطلب لنا منهُ بيعة مار اليا (٧ التي

---

١) اي الوجوه والذوات ٢) المَسيفة مسل السيوف

٣) لا ذكر لهُ في تاريخ حضرة القس اسحاق ارملة

٤) اي من طور عابدين مقام اليعاقبة في الجبال المجاورة لماردين

٥) احد ابواب ماردين شرقيًّا من جهة دير الزعفران . في قربهِ قرن مرتفع

٦) يريد الاعيان والذوات من طائفة اليعاقبة ٧) هذه البيعة في سفح جبل ماردين جنوباً

في ضيعة جفتلك (١ وكانت القرية لامرأة الامير فقالت هذه لزوجها فكتب لي دسكرة (تذكرة) ومهرّها (ختمها) فجاءتها كرّة واعطتني اياها فاخذتُ معي ابراهيم واربعة شمامسة وكم واحد من العوام وكان وقت الصوم الكبير واخذت معي ابراهيم لانّ اباهُ كان مربيع (٢ الامير واذ كنّا في القرية نظرنا قد جاء القس سعيد بن القس هامو ليقدّس فأريناهُ الدسكرة فرجع الى المدينة وبدأ من الطريق يردّ الزوّار ويقول لهم : انّ مار اليّا ضبطوهُ الفرنج . فبعضهم ارتدّوا والبقية قالوا: نحن نزور القديس (٣

واجتمع في ذلك اليوم مقدار مائتي رجل غير النساء والصبيان فقدّستُ وكرستُ. والاحد الثاني اتيت بجميع اولاد الكاثوليكيين وكانوا كلهم يجلسون على ركبهم وكل واحد كتابهُ بيدهِ ويصلّون . ثم اتوا اهل قرية القصور فكانوا ينظرون ويتعجبون وكنّا نخرج من الصلاة ونجلس كلنا جميعاً ونخلطون ما كولهم وشربهم جمعةً وياكلون ويشربون ويمجدون اسم يسوع وبقيت انظر الناس يزدادون ازيد وازيد . ولكن لم يكن بيدنا دستور لاستماع الاعتراف فيوم جمعة الاربعين جاءتنا ورقة الدستور من حلب . وكانوا الباطريّة اجتمعوا وكتبوا لنا دستوراً قانونيّاً: « على حسب ما شهدوا لنا فيكم واخبرونا عنكم نمنحكم دستوراً وحلولاً مثل ينبوع الحياة من نعمة البيعة المقدسة » فقدّمنا الورقة للقس موسى بن الحصرم ( الكلداني ) فكشف رأسهُ واعترف اوّل الكل عندنا

ويوم احد الشعانين عرّفت جميع اولاد البيعة من الكاثوليك بار اليّا وقرّبتهم وكان عيد البشارة في تلك السنة يوم قداس الخميس ( اي خميس الاسرار ) فعرّفت اكثر الناس في بيوتهم فالذي امكنهُ جاء ليتناول عندنا والبقيّة جبنا لهم القربان للمدينة فتناولوا . ويوم جمعة الآلام والسبت ليلة العيد الكبير رحنا وغنا في مار اليّا واتوا اهل الضيعة كلها وناموا عندنا وكنّا مقدار اربعين رجلاً وقدّسنا في الليل . ثم بقينا كل احد وعيد نروح نقدّس في مار اليّا فشاشت ( هاجت ) المراطقة وانحدروا جدّاً وانعزل منهم شمامسة وشعب كثير واتوا الينا

وبعد ذلك كتبوا المراطقة مكتوباً وارسلوهُ للبطرك في حلب واخبروهُ بجمع

---

١) الجفتلك الارض الخاصة بالسلطان يتولاها باسمهِ بعض العمّال

٢) اي وكيلهُ وشريك في ربع المحصولات ٣) اي مقام اليّا النبيّ

هذه الاحوال فعرض الحال لاسطنبول واخرج فرماناً في حقي. ففي اليوم الخامس من شهر كانون الثاني ليلة الدنح (الغطاس) وكان يوماً شاتياً ونحن مجتمعون اذ جاءنا ساعٍ من حلب ومعه دَرْجة مكاتيب وفيها صورة الفرمان فجاء الى السوق وسأل المقدسي مرزا ابن قازداغلي عن بيت الامير فدما الخواجا عبدال وأراهُ الساعي فاخذهُ وراح الى عند الامير فسلّم لهُ المكاتيب والفرمان. فقرأوا المكاتيب وكان البطرك ارسل مكتوباً لكل ضيعة ولكل رعيث (رعيّة) وكتب للامير ايضاً وذكر في مكاتيبه للرعايا ان يجتمعوا كلهم ويتوسّلوا من الامير ان يأمر بقتلي وايش ما اراد يعطوهُ

فلما قرأ الامير هذه المكاتيب ارسلها لاصحابها وشاش (وشاع) الخبر في السوق انهُ قد جاء فرمان في حق القس ايليا من اسطنبول. وكنت ذلك النهار في بيت الشمّاع فجاء الخواجا ملكون وهو مغبون (حزين) فقلت لهُ: ما لك مغبون هلقدر. فقال: كيف لا اتغبن وقد خربتَ بيتنا. فقلت لهُ: لاي سبب. قال: ان البطرك قد اخرج فرماناً في حقك وارسلهُ مع الساعي الى الامير ليأخذ رأسك. فبدأوا كلهم يبكون. وقال لي قوم منهم: اهرب لئلا يجوا ويجدوك عندنا

فقمتُ واخذت عباءتي على رأسي وما صفّيتُ ألا عند الامير فلاقاني الجاويش طالعاً من الرصيف فاخبر الامير فدعاني الامير ودخلت اليه فقال لي: من جابك. فقلتُ: ما احد جابني انا جيتُ فقال: لماذا جيت. قلت: ايها الامير سمعت ان في حقّي فرماناً وفرمان السلطان على الرأس والعين لاني اعطي للسلطان جزية الراس فان اراد راسي يكون فداهُ. فضحك الامير. فقلت لهُ: لماذا تضحك. فقال: لو كان فرمان ما كنا نخليك الآن حيّاً لكن جاء امر لاهل الشرع ان يجتمعوا ويسجلوا قباحتك فان كانت تستوجب القتل نقتلك. فقلت: ايها الامير هذا الفرمان ليس هو في حقّي بل هو في حقك لانَّ هؤلاء ما يحبّونك تحكم عليهم وانت اسمك قد ذاع في الدنيا كلها وما كنت تقدر انت تطلع من حقّي فتركوك واشتكوا عليّ لاسطنبول. فقال الامير: لا تخف اليوم انا اعملك بطركاً وانزل ابوهم (اباهم) على ابو (ابي) الكتاب. فقلت لهُ: انا ما لي طاقة في البطركيّة. فقال: روح الى كنيستك وان يحدث لك شيء اعلمني

ثم ارسل الامير وجاب وكيل البطرك وقال لهُ: اكتب للبطرك ان يجيء هو ويدعي

( ويقيم دهوى ) مع القسيس ٥. فراح لهم دراهم كثيرة وكتبوا مكاتيب للبطرك وارسلوها مع الساعي قائلين: قوموا تعالوا بالعجل والّا البطركية قد راحت من يدك لانّ الامير قال لابن الكزبر: اريد اعملك بطركاً. وحكوا لهُ ما جرى لهم. فالساعي مرض في الطريق والمكاتيب ما وصلت للبطرك الّا في سبّة السعانين فيوم جمعة الاربعين طلع من حلب وعيّد السعانين في الطريق وكذلك سبّة الآلام والعيد الكبير. وفي الاحد الجديد وصل الى قزلي (١ وبعث فتوسّل الى الخواجا عبدال ان يطلب لهُ من الحاكم دستوراً ليدخل الى ماردين وبعث للامير ازيد من خمسمائة قرش پيشكاش (٢ فاخذ لهُ دستوراً

وجاء البطرك الى دير الزعفران في الاحد الذي بعد الاحد الجديد. وفي يوم الاثنين جاء الى الاربعين (٣ والثلثاء الى مار (مرت) اشموني والاربعاء الى مار ميخائيل (٤. اما نحن فكنّا لا نزال نذهب الى بيعة مار اليّا. ففي ذلك اليوم رأينا الناس جوقات جوقات نازلين معنا. وكانت افراس الامير ترعى في الجاير (٥ فقدّام مار ميخائيل فقال واحد من الخدّام (وكان جاويشاً) للبطرك: لماذا ما يقبل هذا القس يطيمك. قال: ايش اعمل معهُ الامير ظهيرهُ والامير ارسلتُ لهُ فرماناً فما عمله. فمضى ذلك الجاويش المساء واخبر الامير. فارسل الامير خلفي مع ابن جوهر وكنت انا في بيت الشماس يلدهُ الكلداني. فدلوه عليّ فجاء اليّ وقال: انّ الامير يريدك روح انت وحدك وانا اروح اجيب البطرك

فروحتُ ودخلت لعند الامير فقال لي الامير: في بالك هو ذاك الكلام الذي قلتهُ لك اليوم الذي بعث البطرك عليك الفرمان. قلتُ لهُ: نعم. فقال: ذاك الكلام تقوله قدّامهُ. واذ نحن هكذا والّا جاء البطرك وجاب معهُ الخواجا ايشوع دلوبالطه (كذا) وابن القس مرزا وابراهيم القوّاق فدخل هو والخواجا ايشوع لقدّام الامير والامير بقي يتشوّر وما يلتفت اليهما وهما قائمان في سلامهِ وانا جالس في جنب الديوانخانه

---

١) قرية بين ماردين وديار بكر ٢) اي هدية وهي كالبخشيش

٣) اي كنيسة الاربعين شهيداً في ماردين

٤) كنيستان للبيعة الواحدة على اسم السبعة المكابيين واسمهم اشموني. والاخرى على اسم مار ميخائيل وكلتاهما خارج المدينة ٥) لفظة تركية بمعنى المرعى والمسرح للمواشي

مقابل الامير حتى امرهُ ان يطلع الى فوق ويجلس ثم قال لهُ : هـذا هو الراهب الذي اشتكيت عليه وبعثت طيهِ الفرمان ؟ فقال : نعم يا امير هذا هو وهو ابني وانا قد رسمتهُ شماساً والآن قد صار قسيساً وانت قد اخذت واصليتهُ كنيسة مار اليا وانت افتديتها انت ايش ما حكمت على الراس والعين . فقال الامير : هل الاب يريد يقتل ابنهُ انك بعثت طيه صورة فرمان وانا اردت ان تحميهِ وتريني الفرمان ايضاً . قال البطرك : الفرمان عندي . فقال : جيبـه ( جيْ بهِ ) . فقال : امهلني لغدٍ

وكان معي اخي واقفاً برًّا ( خارجاً ) فقال البطرك : هوذا وكيلك واقف خلهِ يروح يجيب الفرمان . فقال الامير : من هذا . قلتُ : اخي . قال : فاين الوكيـل . فجاء فاخرج مفتاح السبَت (١ من جيبهِ واعطاهُ للوكيـل وقال : افتح السبت وفي فم السبت كيس ابيض مختوم جيبه ( جيْ بهِ )

فلما راح يجيب الكيس قلتُ للبطرك : « يا بطرك انا كلّي انسان حقير انا ايش اكلتُ منك . انت تأكل من باب لسطنبول الى باب بغداد وتسلب مال هلقدر ( هذا القدر ) ناس وانا بامر الامير اخذت لي هذه البيعة الخربة ومن الاحد للاحد اروح اصلي فيها وانت لاجل هذا تمضي تشتكي عليَّ الى السلطنة أما كان هاهنا حكمٌ وشرعٌ لتبين قباحتي وحاكم الوقت يطلع من حقي ؟ فقال : الذي صار صار . الله قبيل المفسدين

واذ نحن هكذا جاء الوكيل وجاب الكيس فاخذ الامير الكيس وفتحهُ واخرج منهُ الحجج التي هي من عشرين سنة وجاني مع الفتوات والقرامين وجميع الشرور التي عملها هو والبطرك خاله ثم اخرج الفرمان الذي كان عندهُ صورتهُ فسلك الصورة بيدهِ واعطى الفرمان لكاتبهِ وامرهُ بقراءتهِ وكلما يقرأ قليلاً يقول الامير البطرك بتعزيل ( بتوبيخ ) : « من تكون يا بطرك حتى تلعب في فرمان السلطان » لانَّ الصورة طلعت زوائد على الفرمان في كلام كثير . ثم قال لهُ : في هذا الوقت اريد ارفعك الى القلعة وارسل هذا الفرمان وصورتهُ الى اسطنبول للسلطان حتى نُبصر مَن في مملكتهِ تجاسر وعمل هذا العمل . فقال البطرك : ايها الامير هذا ما هو ذنبي بل هـذا ذنب الكاتب . فقال : ايش كان يعرف الكاتب هذا الكلام

---

(١ السَّبَت كالسَّفَط بمعنى القفَّة والصندوق

ثم امر برفع البطرك فوقع الخواجا ايشوع على أقدام الامير قائلاً: ان البطرك رجل كبير السن ومريض فنحن نكفله. فصرفهُ وبقيتُ انا فقال لي: امضِ اقعد في اوضة الكاتب فان لي معك شغلاً. فجاءوا العشاء وتعشينا وبعد العشاء دعاني وقال لي: لا تخف فقدّاً اذا ارسلتكم للشرع اندع (تحاجج) مثل ما يعجبك. وكنت قلتُ للامير أنّا سألني ايش بينكما فاخبرتهُ بالقضيّة: انّ هؤلاء (اليعاقبة) يقولون انّ الله الواحد بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات ثم يقولون انّ يوحنا ما قام آخر شبهةً لا في الانبياء ولا في الانبياء. ويصلّون لهُ قائلين: ربّنا ترحّم علينا وربّنا تحنن علينا وربّنا اقبل صلواتنا وطلباتنا. ويقولون: «ربّنا يوحنا» عشرين مرّة. وغير هذا الذي اخبرتُ عنهم الامير. فقال لي الامير: ان ثبتت واحدة من هذه فقط حلّ فيهم السيف. فقلتُ لهُ: لاجل هذا يا امير انا انعزلت من بينهم. والامير كان يعرف كل هذه الامور

ففي صباح تلك الليلة قبل انشقاق الفجر جاؤوا الى عندهِ وتوسّلوا اليهِ واعطوهُ سبعمائة قرش فاخذ الدراهم وعند الصباح راح الى البستان. واذ كان في البستان جاء اليهِ القنبوري مطران القدس واخو البطرك المغريان متى ودفعا لهُ خمسة اكياس دراهم ليقتلني. فلمّا جاء الامير من البستان اخبر الى عيسى بك بذلك وقال: ودّ القس الى اوضتك وقيّدهُ. فودّاني وضرب القيد في رجلي وحكى لي بالقضية وسمعتُ الخواجكية ايضاً

وفي ذلك اليوم راح البطرك اسحيقه للدير (اي دير الزعفران) وجمع كل المطارين والرهبان ومُريديهِ (اصحابهُ) تماماً اغنياء من الشعب رجالاً ونساء وتشاوروا على قتلي فكان بينهم امرأة عوراء بعين واحدة يقال لها امرأة حبل الزنى. فهذه في تلك الساعة اعطت ثلاثمائة قرش لاسحيقه ثمن قتلي واغاروا المطارين ايضاً وكل واحد منهم قرّر قرذ شي (اي مبلغاً معلوماً) وكتبهُ عليهِ فكتبوا تمسكاً (اي قراراً) وختموهُ كلهم باربعة عشر كيساً وكان التمسك مكتوباً بالعربي وارسلوهُ للامير قائلين: «قد اخذتَ منّا الذي اخذت فهو حلال عليك وقد (قرّر) الآن المطارين لك خمسة اكياس وهذا تمسك اربعة عشر كيساً ثمن دم ابن الكزبر ندمهُ في رقبتنا قدّام الله وان كان اخوتهُ اشتكوا الى السلطان فجواب السلطان علينا». وارسلوا التمسك الى حرم الامير مع امرأة طورانيّة في بقجة قماش تساوي مائتي قرش

فلمَّا فرَّقت الخواتين الاقمشة بينهم (بينهنَّ) وجدوا (وجدنَ) التمسك فيها فاعطوهُ (فاعطينَهُ) للامير. فلمَّا قرأهُ الامير تعجَّب من قساوة قلوب هؤلاء وارسل فدعا ثلاثة من الخواجكية الخواجا عبد المسيح ابن الخواجا اصلان والمتدسي عبد الاحد ابن القس عوديش (عبد يشوع) والخواجا عبدال وقرأ التمسك قدَّامهم فالواحد منهم قال: خذ الدراهم واقتلهُ. والآخر قال: انت تعرف أيُّها الامير ان تجيب حمل قطن فاندفهُ ولفَّ هذا القس ايليا فيهِ وخبِّهِ وكلما تحتاز (تحتاج) لدراهم أظهرهُ. فضحك الامير فجاء عيسى بك وحكى لي كل شيْ

وعند العشاء دعاني الامير وأراني التمسُّك وقال: ايش تقول. قلتُ: العصا في يدك. لو كان هؤلاء قدروا ان يقتلوني كان كلْ (١ قتلوني من زمان انا دمي اطلبهُ منك يومَ الله اليوم العظيم لانهُ ما لي شر على احد. فقال لي: يا راهب انت كيف تعرف فعلَّمني حيلة لآكل هذه الدراهم من هؤلاء القوم. فقلتُ لهُ: غدًا من الصباح حطَّني في الزنجير وأرسل قُل لهم «جيبوا الدراهم حتى اقتلهُ» وانا تكمل الدراهم قُل لهم: «امضوا سجلوا عليه قباحتهُ لاقتلهُ وأروح انت القاضي حتى يسمع دعواي فأندعي انا عليهم بذلك الكفر الذين يكفرون». فضحك الامير وقال: الله ينصرك عليهم

وفي الصباح ادخلني الى الزنجير وحطَّ في رقبتي طوقين. فجاء اهل قلعة مرا واصروني هم والداشية ومضوا فاخبروا السجَّانة. اما الامير فبعث طلب الدراهم ليتلوها (ليدفعوها) لهُ. فاعتذروا قائلين: اننا قد بعثنا بتدبُّن دراهم من ديار بكر

وما مرَّ علينا سبعة أيام والا اهل الصراي قد شاشوا (هاجوا) فسألنا: ما هو الخبر. قالوا: انَّ متسلماً جديدًا جاء من حلب وقد اعطى السلطان ماردين لطوپال يوسف باشا امير الحاج وهو جاني الى هذا البلد. فلمَّا وصل المتسلم ارسل وطلب الزنجير فاخرجني الامير من الزنجير وارسل بقيَّة من كان فيهِ من الاكراد وغيرهم للمتسلم.

ثاني يوم صباحاً جاء اليماقية وجابوا معهم الخواجا اصلان ابن عياجان الكلداني وطلبوا الدراهم والاقمشة التي كانوا اعطوهُ اياها سابقاً من اجلي فما قدر الامير ان يرفضها فاعطاهم كل شيْ طلبوا واغاظ منهم غيظاً عظيماً وبعث وراني وقال لي:

---

١) لفظة «كل» من زيادات لغة ماردين يزيدونها على الافعال فيقولون: «كلْ اكلتُ» اي اكلتُ

اريد آخذك معي الى اسطنبول واريد من الله ان يطيني حكم ماردين ثاني نقلة (دفعة) حتى اصلب من هؤلاء الكفرة عشرين واحداً حتى تتعجب الخلق يقولوا: كيف مثل هؤلاء ينصلبون. ثم شجعني وقال لي: لا تخف. وبقيت ذلك اليوم ايضاً في اوضة عيسى بك. وتلك الليلة بعثوا البعض من الخواجكية وقالوا لي: ان كنت تقدر تهرب اهرب. وجاء اليَّ اخي وبات عندي واراد ان يهربني فما رضيت بذلك وقلت: انا متوكل على سيدي يسوع المسيح وعلى مريم العذراء وعناية البيعة المقدسة

وفي ذلك النهار عند المساء وكانت ليلة عيد السيدة نصف اياز (لعلهُ يريد نصف آب) تركوا اليعاقبة صلاتهم واجتمعوا جمهوراً كبيراً بينهم كهنات القصور والمتصورية وبنيبل وقلعة مرا والشعب ايضاً من ثلاث مراعيث وجاؤوا فاشتكوا عند المتسلم على الامير وقالوا: لنا عندهُ راهب ممسوك ولنا معهُ دعوى كبيرة فهو قد سلَّم لك المسوكين ولم يسلم ممسوكنا

فارسل المتسلم للامير اثنين من الآغاوات فاخبرا الامير وطلباني منهُ. فجاء عيسى بك وقال لي: قوم والبس قبَّاعتك ولفَّتك وصورتك لانَّ جماعتك اشتكوا الى المتسلم وبعث يطلبك من الامير. فقمت معهُ وحضرت قدَّام الامير فقال الامير للاغاوات: هذا الراهب. فسكني كلاهما كل واحد من كتف وانزلاني في الرصيف. وكان الخلق قد خرجوا يتفرَّجون مسلمين ونصارى وبقيت ممسوكاً بينهم حتى وصلوني الى قدَّام المتسلم. فقال لهم بالتركي: هذا هو الراهب؟ قالوا: نعم. فقال: ارفعوهُ للزنجير. فأحاطوا بي الجند واخذوني ورضعوني في رأس الزنجير

وفي تلك الليلة راح من اليعاقبة ناس امند البكباش واعطوهُ خمسين قرشاً قائلين: أعطهِ جزاء ليموت في الزنجير. فوقت العشاء اخرجني من الزنجير وكان قد نقع كندير (حبلاً) وشدَّني بالزلط الى النصف وربطني في الكندير وجاب مزواراً ومزوَّر (١ الكندير حتى غبتُ عن وجدي (اي عن حواسي) وتركني مشوار. وبعد ذلك لمَّا قاربت الموت تطع الكندير بالخنجر وقلب (كبَّ) عليَّ جرَّة ماء فبدأ جسدي يتثل فقمتُ وفتحت عيني فبدأ يضربني بالقرباج ويقول لي: «افرنجي افرنجي» ويضرب. وكان هناك احد صرايدار (٢

(١) المزوار آلة تلوى بها الحبال

(٢) الصرايدار تصحيف السرايدار اي وكيل السراي

رجل شاب من طائفة الارمن اسمهُ مراد ابن ازياد فبدأ يبكي عليَّ ويلعن قساوة اليعاقبة وبقوا يعاقبوني الى نصف الليل ثم طرحوني في الزنجير لاميت ولا حيّ

ثم عند الصباح جاء اليَّ اخي وابصرني في تلك الحالة فسألني: هل تحصيل الملكوت هو هين فان كنتَ لا تقدر تصبر على هذا العذاب فكيف تقدر تصبر على عذاب المطهر ! واعلمني ان انبارحا (اي الليلة البارحة) راح الخواجا توجان ابن الخواجا اسحق والخواجا اصلان ابن عيسا جان وانا معهما الى القاضي واقرّا (نقدًا) له ثمانين قرشاً ابا كلب ووضعا عنده زوجين اخصور (اي اسوار) وكترين وزنجيرًا وتوسّلوا منهُ ان لا يعطي في حقك حجّة القتل. فهو حلف لهما بالطلاق انهُ لا يعطيها ولو دفعوا لهُ اليعاقبة الف قرش

فمضى اخي من عندي وراح فحكى للخواجكية ما صنع بي البكباشي وكذلك الصريدار المذكور راح فاخبرهم فراح احدهم الى عند الامير واخبرهُ بالقضيّة فركب الامير وجاء الى عند المتسلم وقال لهُ: «انا كنت خلّيت هذا الراهب عندي لحين ما يجي يوسف باشا حتى اجرّهُ له بيشكاش لانَّ اعداءهُ قد اعطوني عشرين كيسًا حتى اقتلهُ وانبارحا (امس) كان يريد البكباشي ان يقتلهُ ويروّح العشرين كيسًا». فبعث المتسلّم وصاح (دعا) البكباش وقال لهُ: لماذا عملت هكذا انا قلت لك حطّهُ في الزنجير فهل قلت لك عاقبهُ. فقال: انَّ اعداءهُ جاؤوا وبرطلوني كي اعاقبهُ. ثم نزل اليَّ رجل يقال لهُ يوسف اغا وسلّاني واخرجني من الزنجير وضربني في القيد وبسط لي حصيرًا باشتا (منفردًا)

فثاني يوم من الصباح قالوا انَّ الحاكم خليل آغا قد جاء وعملوا لهُ هلاي (حفلة) كبيرة. ولما وصل ما رضى ان يجيء ينزل في بيت يعقوب باشا فنزّلوهُ في السراي العتيق. فوضعني الاوديباشي في الزنجير وحمّلني بقيّة الزنجير. وكان قد اخذ عشرة احمال حشيش فحمّلها المحبوسين وحمّلني ايضاً فوق الزنجير اربع قنطار حشيش. واذ نحن جاؤون فوق سطوح الصانعين لاقاني القاضي وسأل قائلًا: هذا هو الراهب. وكذلك المفتي والاعيان وكان صباح الاحد في زمن الصيف وكانت المدينة كلها قد اتت الى الفرجة مسلمين ونصارى رجالًا ونساء (التتمّة لعدد الآتي)